ذكريات وسطور عن الخطاط العربى
هاشم محمد البغدادى
١٩١٤ - ١٩٧٣م

د. عبدالله جبورى

تنفس سحر يوم الاثنين ٢٧ ربيع الأول ١٣٩٧هـ الموافق ٣٠/٤/١٩٧٣م (عن نبأ هز بغداد ، اذ هوى علم ضخم من أعلام فن الخط العربي في العراق ، لقد مات هاشم محمد البغدادي الخطاط العظيم ...) .

عرف الخط العربي فحولا من أهل الصناعة الحرفية ، واحتفل بانماط فذة من ميامينهم ، أمثال ابن مقلة ، وابن البواب ، والمستعصمي ، وغيرهم .... حيث ظلت آثارهم نماذج تحتذي عند القوم ، ثم جاءت عصور واندرجت أخرى ، فنجم في السعدي والوهبي والرشدي وغيرهم من أعيان القرن الثالث عشر الهجري .

ولكن بقي هذا الفن يحن الى عملاق يعيد اليه روعته العظيمة ، حتى قيض الله (سبحانه) للغة القرآن الكريم فذا نابغا في القرن الرابع عشر الهجري ، ذلكم هو : هاشم محمد البغدادي ، الذي أعاد الى الخط العربي عبقريته وقوة سحره اللتين خبتا حيناً من الدهر .

ولد هاشم محمد في بيت متواضع ، نابه الشرف ، عريق المحتد ، وهذا البيت مازال شاخصا في محلة (العزة) من محال الرصافة من بغداد وذلك في عام ١٩١٤م .

ولابد من الالماع الى سنة ولادته لأن اختلافا وقع في ضبطها ، ... ورد في دليل الجمهورية العراقية ١٩٦٠م في الصفحة (٧٩٤) أن سنة ولادته هي : ١٩١٧م ، وكان المرحوم قد كتب مادة : « الخط العربي في العراق » في الدليل المذكور ، وأشرف على كتابة خطوطه ثم أن أخاه لأمه الدكتور

« نوري حمدي القيسي » الاستاذ المساعد في كلية الآداب : جامعة بغداد ، روى لي أن صواب سنة ولادته هو : ١٩٢١م نقلا عن والدته التي تذكر أن ولدها هاشم ولد في سنة دخول الملك فيصل الأول بغداد ١٩٢١م ، وقد روى لي الخطاط النابغ الأستاذ : « يوسف ذنون الموصلي » وأحد خلصاء المرحوم هاشم ومن أصدقائه الأوفياء أن هاشما قال له : ان ولادته كانت أكثر من التاريخ المثبت في دليل الجمهورية وفي « دفتر النفوس » وهذا مما يجعلنا نميل الى سنة ولادته في : ١٩١٤م ، ويقوى هذا الرأي أنه اشتغل مستخدما في وزارة الدفاع العراقية في (معمل العتاد) في حدود سنة ١٩٣٤م ٠

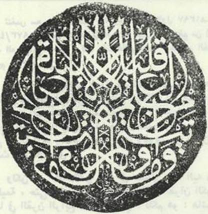

نموذج من خط المرحوم هاشم

وفي ١٧/١١/١٩٣٧م عين في مديرية المساحة العامة ، وفي حدود عام ١٩٣٣م كان يراسل الخطاط السوري المعروف المرحوم « بدوي » كل هذا يجعل الباحث يميل الى أن سنة ولادته كانت قبل عام : ١٩١٧م ٠

ولما اشتد عوده انتظم طالبا في المدرسة الأحمدية ، احدى مدارس بغداد الدينية وتتلمذ للشيخ (الملا) عارف الشيخلي (١) . فختم القرآن الكريم وأخذ أصول الخط العربي عليه .

ثم تتلمذ لجمهرة من خطاطي بغداد ، كان من أظهرهم الملا علي الدروش « محمد علي الفضلي » أحد الخطاطين المبرزين في عصره والمتوفي سنة ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٨م وكان يدرس الطلاب علوم الشريعة والخط في جامع الفضل ببغداد ، قضى حياته في غرفة من غرفه (٢) وقد تفنن باجادة فنون الخط العربي وبخاصة : النسخ والتعليق ، لذلك كان يكلف بكتابة (الارادات الملكية) . ومن آثاره : سجلات المحكمة الشرعية في بغداد وبعض المخطوطات التي كان ينسخها لنفسه ولشيخه العلامة الزاهد « قاسم القيسي » مفتي بغداد الأسبق المتوفي سنة ١٩٥٥م .

وعلي الملا علي برع هاشم حيث صقل مواهبه الثرة ومنه استمد قوة خطه وبخاصة : الثلث والتعليق كما حدثني بذلك نفسه ـ رحمه الله ـ ثم قدم الى الامتحان في القاهرة عن طريق مدرسة تحسين الخطوط في الاسكندرية وبواسطة المرحوم محمد ابراهيم مديرها فقد كانت هناك منافسة بين الاسكندرية وبين القاهرة ، اذ كانت في القاهرة مدرسة تحسين الخطوط الملكية ، وقد حصل على الدبلوم بدرجة (امتياز) في سنة ١٩٤٥م وذلك بموجب قرار وزارة المعارف المصرية ذي الرقم (٦٦٣٥) والمؤرخ في ١٨/ديسمبر/١٩٤٥م ، وكان وزير المعارف آنذاك العلامة الفقيه الدكتور عبد الرزاق السنهوري المتوفي سنة ١٩٧١م ، ومدير الدار الأستاذ المرحوم محمد ابراهيم .

فاتصل في أثناء مكثه هناك بالخطاط المشهور (حسني) المتوفي سنة ١٩٧٢م ، والمرحوم سيد ابراهيم فأجازاه اجازة تامة في أنواع الخطوط .

شغف المرحوم هاشم بالخط وفنونه ، وراح يبحث عن آثار أساطينه في المحاريب والقباب وواجهات الجوامع في بغداد واستانبول ، وقد استبد به الاعجاب بجمهرة من خطاطي الأتراك أمثال : مصطفى راقم الذي : « اختزل كثيرا من قواعد الخط العربي وأبدع فيه بحيث أصبح رئيس الخطاطين في عصره ، وتعتبر خطوطه من أروع ما ورثناه من الكتابة العربية كما قال هاشم . حتى أنه أسمى كبير أنجاله باسمه (راقما) كما حدثني بذلك . ذكرى واعجابا بمصطفى راقم .

ثم اتصل بالخطاط العظيم حامد الأمدي « موسى عزمي » والذي يعده : أحسن من خلف راقما في جمال خطه ومتانة قواعده وسيطرته على ضوابطه . أهـ .

فأجازه باجازة أولا ثم بعد ذلك على « التقدير » كانت اجازته الاولى له بين خطاطي البلاد العربية وذلك في سنة ١٣٧٢هـ واليك نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي هاشم محمد البغدادي الخطاط
شاهدت فيك الصدق والاخلاص والمحبة لهذا الفن الجميل الذي لم يندثر مادام الاسلام قائما وأعهد فيك أن تكون من أخيارهم وأول الخطاطين في العالم الاسلامي فلك أهدي أزكى التحيات لما أنت فيه من تقدم دائم ٠

كتب في الاستانة سنة ١٣٧٢هـ
أستاذك المخلص
موسى عزمي المعروف بحامد الآمدي

ثم اتصل بالخطاط التركي ماجد الذي ساعد على تعيينه أستاذا للخط العربي في معهد الفنون الجميلة في بغداد وذلك في سنة ١٩٥٧م ٠

ومما جعل لهاشم الصدارة في فنه تمكنه من فنون الريازة الاسلامية الذي تخصص في ابداع فنونها وفي اجادته أنواع الخطوط العربية كافة وبحسن التزويق بالذهب الخالص والمينا اللازوردية ٠ وهذا ما كان يقصر دون البلوغ اليه فطاحل أهل الفن ٠

ومما ميزه عن أقرانه وأعيان عصره في فنه أنه كان يخط على قاعدة (٤) ياقوت المستعصي ويرى أنها القاعدة البغدادية الصحيحة ·

آثاره :

ترك هاشم آثارا وفيرة من فنون الخط العربي في بغداد وفي غيرها من حواضر العالم الاسلامي ومن هذه الآثار الخرائط التي صدرت عن مديرية المساحة العامة في بغداد ، ومن آثاره : الاشراف على طبع المصحف (٥) « الأوقافي » الذي صدر عن مديرية الأوقاف سنة ١٣٧٠هـ وطبع في مديرية المساحة العامة وهذه النسخة من أجمل النسخ الخطية للقرآن الكريم التي وصلت الينا وقد كتبها الخطاط التركي الشهير « محمد أمين الرشدي » في سنة ١٢٣٦هـ ·

ثم أصبحت هذه النسخة المباركة من (موقوفات) والدة السلطان عبد العزيز خان ، حيث وقفتها على مرقد الشيخ الجنيد البغدادي ثم آلت الى مكتبة الامام الأعظم ثم انتقلت الى مكتبة الأوقاف العامة ونظرا لنفاستها من جهة ولنفاد نسخها من جهة أخرى قررت مديرية الأوقاف العامة اعادة طبعها في ألمانيا فندبت لهذه المهمة الجليلة (أبا راقم البغدادي) وذلك للاشراف على طبعها واصلاح ماتمس الحاجة اليه أمثال : كتابة عناوين السور ونحوها ، فطبعت للمرة الثانية في مطبعة (لوزة) في فرانكفورت في المانيا الغربية ١٣٨٦هـ ثم أعيد طبعها للمرة الثالثة في سنة ١٣٩٢ ـ ١٣٩٣هـ في المطبعة نفسها ·

ومن آثاره أيضا :

الخطوط النفيسة على مسكوكات (الجمهورية العراقية والتونسية والليبية والسودانية والمملكة المغربية) وكتابة الخطوط الجميلة في عدد من جوامع بغداد لعل آخرها كان جامع الوجيه الحاج المرحوم محمود بنية المتوفي في ١٩٧١/١٢/١٦م في جانب الكرخ ·

ومجموعة كبيرة من اللوحات الجدارية لمديرية الأوقاف العامة (رئاسة ديوان الأوقاف) وأسامي جملة وفيرة من المطبوعات العراقية ·

ومن آثاره المنشورة كراسة (قواعد الخط العربي) المكتوبة سنة ١٩٦١م والمطبوعات في بغداد ١٩٦٢م والتي ضمت مجموعة نادرة من أنواع

الخطوط العربية كتبها ورسمها بنفسه وكذلك (كراسة الخط العربي) التي نعمت بها أجيال من طلاب المدارس في العراق والجزء الثاني من (قواعد الخط العربي) تركها وهي في المرحلة الأخيرة من تبييضها ·

وأخيرا ، انتقلت آثاره وجميع ما ترك من آلة وأداة ، الى مكتبة المتحف العراقي ببغداد ·

ومن آثاره أيضا :

الجزء الثاني من كتابه (قواعد الخط العربي) والذي قامت لجنة من كاتب السطور والخطاط يوسف ذنون ، و د· نوري القيسي ، مهمتها جمع آثاره (اللوحات وعنوانات الكتب وغيرها) تمهيدا لنشرها في (أطالس) كبيرة ·· ومنها كتابه آنف الذكر ·· وبالفعل تم (تصوير) جمهرة كبيرة من هذه اللوحات والعنوانات ، ···· الا أن أمرا ما ساور أحد (المباشرين) على طبع هذه الآثار ، وصرف همته ·· كل ذلك كان استدراجا لانشاء (متحف) في بغداد يحمل اسم (دار الخط الاسلامي) ويلم جميع آثار المرحوم هاشم ·· أسوة بمتاحف الخط الاسلامي الأخرى ، في استانبول والقاهرة وكابل ، وغيرها ··

ومما يؤسف له حقا أن الخط العربي قد خسر تحفة غالية من آثار هاشم البغدادي وهي بداية مشروع لكتابة نسخة من المصحف الكريم حيث كتب مايقرب من ثلثه ثم أتلفه بسبب حالة نفسية ألمت به ·

ثم أخذت فكرة خطه من جديد تدق أبوا بهواجسه ، وقد اقترن الحاح الخلص من أصحابه ومن محبي هذا الفن الرفيع بوجود هذه الفكرة ، فقر قراره على تنفيذ ما كان أضاعه بالأمس ·

فبدأ فعلا بالمشروع وطلب ورقا خاصا بذلك من ألمانيا في أثناء وجوده فيها وبعد رجوعه الى بغداد وفراغه من الاشراف على طبع المصحف الشريف وصل الورق بصناديقه ولكن ؟ ·· كان وصوله في صبيحة يوم الاثنين ٣٠/٤/١٩٧٣م كما حدثني الخطاط غالب صبري والدكتور نوري حمودي القيسي والمشيعون لم ينتهوا بعد من دفنه في مقبرة الامام الأعظم (الأعظمية) وقد مرقد أبي بكر الشبلي ·

كان موته مفاجئا للناس حيث أنه أنهى مباشرته في معهد الفنون الجميلة في تمام الساعة الثامنة والنصف مساء ، وفي الساعة الثانية بعد منتصف ليلة الاثنين شكا آلاما حادة في صدره ، وعند نقله الى (مستشفى الخيال)

اجري عليه الفحص الطبي وأخذ (الاسعافات اللازمة) .. وكان يصر على انه معافى ولم يأسره مرض ، حتى أنه تمرد على تعليمات الأطباء في الخلود الى الراحة والسكون وبعدها قبض الى العلي الأعلى .

رحمك الله يا أبا راقم .. وجعل لنا آثارك الكثار سلوانا عن غيابك وسيذكرك كل حرف أبدعته أناملك في الطروس وفي الألواح وستدعو اليك بالرحمة آيات الكتاب المسطرة في المحاريب والقباب عند تكبيرة كل آذان .. جزاء ما أسديت لأمتك وللغة كتاب الله العظيم .. انه سميع الدعاء .

مراجع الكلمة :

١ ـ قواعد الخط العربي لهاشم محمد البغدادي .

٢ ـ البغداديون أخبارهم ومجالسهم لابراهيم الدروبي ، بغداد ١٩٥٨م .

٣ ـ مكتبة الأوقاف العامة ، تاريخها : نوادر مخطوطاتها لعبد الله الجبوري . بغداد ١٩٦٩م .

٤ ـ دليل الجمهورية العراقية ، بغداد ١٩٦٠م .

٥ ـ دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥م ، بغداد ١٩٣٥ .

٦ ـ مجلة مدرسة تحسين الخطوط الملكية ، العدد الأول ، القاهرة .

٧ ـ مجاميع خطية خاصة .

٨ ـ أحاديث خاصة عن المرحوم هاشم محمد البغدادي .

٩ ـ حدائق الامتحان ، مصطفى راقم ، استانبول ١٢٧٧هـ .

١٠ـ جريدة الثورة العراقية ، عدد (١٤٣٩) الصادر في ١/آيار/١٩٧٣م . ٢٨٠ ربيع الأول ص ٤ .

١١ـ أحاديث خاصة أدلى بها لي الأستاذ الخطاط يوسف ذنون الموصلي .

(١) انظر عنه : البغداديون ، لابراهيم الدروبي ، ص ٢٧٧ .

(٢) كان موضعها في مكان بناية مكتبة الأوقاف العامة سابقا ، في شارع الكفاح ،

انظر : مكتبة الأوقاف العامة ، تاريخها ونوادر مخطوطاتها ، ص ١٠٥ .

(٤) يقول الأستاذ يوسف ذنون : انه كان يخط على القاعدة التركية .

(٥) انظر وصفها وخبرها في : مكتبة الأوقاف ص ١٣٢ .